

المقابر الجماعية: الشاهد الصامت على مأساة آلاف السوريين المفقودين



ترجمة وتحرير: نون بوست

بينما تبحث أسر 100,000 سوري مفقود عن أقاربهم، يعتقد سكان البلدات والضواحي في مختلف أنحاء البلاد أنهم يعرفون مكان وجودهم: في الحقول التي شوهد فيها الجنود وهم يحفرون، أو في الأماكن التي توقفت فيها شاحنات الخضار دون سبب واضح.

قال عبيد بوجهاد، 42 سنة، وهو حفار قبور بالقرب من بلدة عقربا، جنوب شرق دمشق: "كانت الشاحنات تأتي في الليل".

وهنا، يوجد جدار كبير مزود بأبراج للمراقبة يحيط بالموقع الذي يضم، بالإضافة إلى صفوف من القبور المميزة، على سلسلة من الخنادق. وتظهر صور الأقمار الصناعية التاريخية التي تم تحليلها بواسطة صحيفة "ذا تايمز" أنه قبل سنة 2011، كان الموقع مجرد مقبرة عادية. وبعد اندلاع الحرب الأهلية في تلك السنة، يبدو أن جزءًا منها قد تم تحويله إلى المقابر الجماعية بدءًا من سنة 2012.

وقال جهاد: "كانت الدماء تسيل من أسفل الشاحنات، وكنا نرى الدماء لا تزال على الطريق في اليوم التالي".

تم تداول أرقام ضخمة دائمًا بشأن عدد الأشخاص الذين تم اعتقالهم وقتلهم على يد نظام الأسد، خاصة منذ بداية الانتفاضة في 2011. ومن بين قائمة يحتفظ بها المراقبون تضم 136,000 شخص مفقود، من المعروف أن حوالي 31,000 منهم قد تم إطلاق سراحهم. ويترك ذلك ما لا يقل عن 105,000 شخص "مفقودين"، يُفترض أنهم قتلوا.

وهناك أدلة متزايدة تشير إلى أن العديد من المحتجزين السابقين تم دفنهم في مقابر جماعية بالقرب من دمشق.



قال جهاد، وهو يتحدث عن المأساة: "كنا نرى الدم لا يزال على الطريق في اليوم التالي".



وقال محمد أبو عبد الله، رئيس البلدة، إن المقبرة تم إنشاؤها بعد معارضة السكان المحليين لوضع جثث السجناء في الحفر غير المعلومة في مقبرة المدينة بوسط البلدة.

وقال: ”في ذلك الوقت، كان الدم رخيصًا جدًا. كان بإمكان أي شخص أن يُقتل لأبسط سبب أو أي اتهام. وهناك العديد من الشباب الذين اختفوا، سواء بتهم أو بدونها. وبمجرد أن تم اقتيادهم إلى فرع الأمن الإقليمي، كانوا إما يتم إعدامهم أو يموتون من الجوع أو المرض أو القذارة أو التعذيب.“
وتتفق صور الأقمار الصناعية لقطيفة مع شهادة بهاء.

وقال دياب سرية، الذي يعمل في جمعية المعتقلين والمفقودين في سجن صيدنايا، وهي مجموعة كانت قد حددت الموقع سابقًا: ”هذا هو المكان الذي كانوا يرسلون إليه الأشخاص الذين تم قتلهم في مراكز الاعتقال وعلى نقاط التفتيش.“

وزارت صحيفة ”التايمز“ ثلاثة مواقع حول العاصمة يُعتقد أنها مقابر جماعية. ومن غير المعروف متى سيتم التنقيب عنها، وربما لمنح آلاف الأشخاص الذين احتشدوا أمام السجون طوال الأسبوع شعور الارتياح، كما تقدم قصص أولئك الذين نجوا مزيدًا من الأدلة على النطاق الصناعي للقتل.

وكان عماد الجامع، 40 سنة، قد أمضى ثلاث سنوات وثمانية أشهر من مدة عقوبته البالغ 20 سنة في سجن صيدنايا عندما تم إطلاق سراحه يوم الأحد. وهو يتلقى العلاج من كسر في ظهره، تعرض له عندما اعتدى عليه أحد الحراس. وقال إن مثل هذه الاعتداءات كانت أمرًا شائعًا، وأنه لم يكن ليصمد يومًا آخر داخل السجن.

وقال: ”في السجن، كل شيء محظور. ولا يمكنك التحدث، ولا يمكنك التحرك، وإلا سيقومون بضربك.“
وكان قد تم اعتقاله في ضاحية الغوطة بدمشق، وهي معقل المعارضة للأسد التي دمرتها قوات النظام خلال الحرب الأهلية. ولا تزال آثار الدمار واضحة للعيان حتى اليوم. ولم يكن الجامع يعرف سبب اعتقاله سوى أنه كان يعيش في تلك المنطقة.

وكما جرت العادة، قال الجامع إنه أمضى الأسبوع الأول من اعتقاله في الحبس الانفرادي في قبو السجن. وعاش في إحدى الزنازين الضيقة والرطبة ولا تحتوي على ضوء طبيعي أو تدفئة. وقضى بقية فترة احتجازه في الطابقين الأول والثاني، مشيرًا إلى أن الحديث عن الطابق السفلي جاء لبث الرعب بين السجناء.



يخشى الكثير من السوريين على أقاربهم الذين اختفوا خلال عقود من حكم عائلة الأسد.



القاعات الفارغة في سجن صيدنايا في ضواحي دمشق

خلال فترة احتجازه، شهد مجموعات من 50 إلى 400 سجين يتم نقلهم إلى القبو وشنقهم. وقال: "كنت أسمعهم يصرخون وهم يقاومون"، مضيفاً أنه قبل سنة 2022 كانت تحدث هذه الإعدامات الميدانية كل شهر أو شهرين، لكنها أصبحت نادرة، وبحلول الوقت الذي أفرج عنه، "لم يكن هناك أي شخص في السجن تم اعتقاله قبل سنة 2017".



وعلى الرغم من تدفق الأمل في استعادة العديد من المعتقلين، إلا أن فاضل عبد الغني، مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، قال إنه يعتقد أن معظم المختفين قد ماتوا، مضيفاً: "قد نعثر على واحد أو اثنين في مكان ما في الشارع، ولكننا نعتقد أن معظمهم للأسف لن يعودوا".

في الأيام التي أعقبت سقوط النظام، شقت آلاف العائلات طريقها من دمشق إلى صيدنايا بحثاً عن أحبائهم المفقودين.

وعلى مدى أيام بعد فتح السجن، استمرت الحشود في التوافد بحثًا عن "السجن السري" المفقود تحت المجمع الرئيسي. ولا تزال شائعة وجود سجن ثانٍ مبني في أعماق الأرض منتشرة، على الرغم من عمليات البحث الشاملة التي قامت بها فرق الدفاع المدني وآخرون الذين قاموا بخلع الأرضيات الخرسانية وحاولوا تحطيم الجدران.

قال عبد الغني: "أريد أن أكون واضحًا جدًا في هذا الموضوع. لا يوجد سجن تحت سجن صيدنايا. إن العائلات تستحق السلام." ومع ذلك، لا يزال البعض يتمسك بالأمل.



العائلات تبحث عن أدلة عن أحبائهم المفقودين خارج سجن صيدنايا



وقال عبد الكريم، 42 سنة: ”أنا أبحث عن جثة، عن أي معلومات“. كان قد سافر مسافة تقارب 400 ميل من الحسكة بحثًا عن شقيقه الأصغر، اللذين اختفيا في سنة 2014. عبثًا، يقلب عبد الكريم في الوثائق المرمية التي عثر عليها على الأرض بحثًا عن أدلة على مكان وجودهما. ثم، لملم الأوراق بين يديه وبدأ في البكاء منهزًا، وقال: ”أريد أن يرى العالم كله ما فعله الأسد هنا“. سوريون يكتشفون بقايا جثث على طريق المطار في دمشق.
المصدر: ذا تايمز

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/277898/>